بسم الله الرحمن الرحيم

الْحِفَاظُ عَلَى الْوَطَنِ وَتَرْسِيخُ الْوَعْيِ 20 رَبِيعِ الْآخِرِ 1448هـ

عِبَادَ اللهِ: اتَّقُوا اللهَ تَعَالَى حَقَّ التَّقْوَى، وَاعْلَمُوا أَنَّ نِعْمَةَ الْأَمْنِ هِيَ الرَّكِيزَةُ الَّتِي تَقُومُ عَلَيْهَا مَصَالِحُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا، فَلَا طَعْمَ لِرِزْقٍ بِلَا أَمْنٍ، وَلَا قَرَارَ لِعَيْشٍ بِلَا طُمَأْنِينَةٍ.

إِنَّ مَا نَنْعَمُ بِهِ مِنَ الْأَمْنِ فِي بِلَادِنَا يَسْتَوْجِبُ مِنَّا شُكْرَ اللهِ تَعَالَى لَيْلَ نَهَارَ؛ فَإِنَّ الشُّكْرَ قَيْدُ النِّعَمِ الْمَوْجُودَةِ، وَصَيْدُ النِّعَمِ الْمَفْقُودَةِ، ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ مِنْ أَخْطَرِ مَا يُهَدِّدُ كِيَانَ الْمُجْتَمَعَاتِ فِي أَوْقَاتِ الْأَزَمَاتِ: نَشْرَ الشَّائِعَاتِ، وَالتَّسَرُّعَ فِي تَنَاقُلِ الْأَخْبَارِ، وَلَقَدْ حَذَّرَنَا نَبِيُّنَا ﷺ مِنْ كُلِّ قَوْلٍ يُزَعْزِعُ النُّفُوسَ، أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ»، وَهَذَا مِمَّا يَمْنَعُ إِمَامَةَ الرَّجُلِ، أَخْرَجَ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ اللهُ عَنِ الْإِمَامِ مَالِكٍ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: اعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ يَسْلَمُ رَجُلٌ حَدَّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ، وَلَا يَكُونُ إِمَامًا أَبَدًا وَهُوَ يُحَدِّثُ بِكُلِّ مَا سَمِعَ.

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ الِانْدِفَاعَ فِي نَقْلِ «قِيلَ وَقَالَ» دُونَ تَثَبُّتٍ مَسْلَكٌ يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ، وَيُوقِدُ نَارَ الْفِتْنَةِ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ صَاحِبُهُ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ مِمَّا ابْتُلِيَ بِهِ النَّاسُ فِي هَذَا الْعَصْرِ الْخَوْضَ فِي الْأَحْدَاثِ الْأَمْنِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ، عَبْرَ الْمَجَالِسِ وَوَسَائِلِ التَّوَاصُلِ الِاجْتِمَاعِيِّ، وَهَذَا مَسْلَكٌ يُخَالِفُ هَدْيَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، فَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾. فَالْعَاقِلُ الْحَصِيفُ يَتْرُكُ هَذِهِ الْأُمُورَ لِأَهْلِ الِاخْتِصَاصِ، وَلِمَنْ وَلَّاهُمُ اللهُ الْأَمْرَ؛ فَهُمْ أَدْرَى بِالْمَصَالِحِ وَالْمَفَاسِدِ، وَأَبْصَرُ بِمَآلَاتِ الْأُمُورِ، أَخْرَجَ أَحْمَدُ عَنْ

حُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ مَاجَهْ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ».

فَالِانْشِغَالُ بِمَا لَا تَمْلِكُ فِيهِ عِلْمًا وَلَا قَرَارًا ضَيَاعٌ لِلْوَقْتِ، وَإِثَارَةٌ لِلْبَلْبَلَةِ، وَخَوْضٌ فِيمَا حَذَّرَ اللَّهُ مِنْهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾.

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ فِيمَا تَقُولُونَ، وَاحْفَظُوا أَلْسِنَتَكُمْ عَمَّا لَا تَعْلَمُونَ.

عِبَادَ اللَّهِ: احْذَرُوا كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ تَصْوِيرِ أَوْ تَدَاوُلِ الْمَقَاطِعِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْأَحْدَاثِ الْأَمْنِيَّةِ؛ فَتَدَاوُلُهَا يُعَدُّ نَوْعًا مِنَ الْإِرْجَافِ الَّذِي حَرَّمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا﴾، فَالْإِرْجَافُ فِيهِ مِنْ إِشَاعَةِ الْخَوْفِ فِي قُلُوبِ الْآمِنِينَ، وَتَعْرِيضِ أَنْفُسِ وَمَصَالِحِ الْعِبَادِ لِلْخَطَرِ، بَلْ إِنَّ فِيهِ إِعَانَةً لِلْعَدُوِّ لِيَطَّلِعَ عَلَى مَا لَا يَنْبَغِي الِاطِّلَاعُ عَلَيْهِ؛ فَيَتَمَادَى فِي عُدْوَانِهِ، فَكُنْ يَا عَبْدَ اللَّهِ حَصِينًا لِبَلَدِكَ، وَلَا تَكُنْ عَيْنًا لِعَدُوِّكَ مِنْ حَيْثُ لَا تَدْرِي.

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ الْوَاجِبَ الشَّرْعِيَّ عَلَيْنَا جَمِيعًا فِي أَوْقَاتِ الْفِتَنِ وَالْأَزَمَاتِ أَنْ نَلْجَأَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالدُّعَاءِ، فَأَكْثِرُوا يَا عِبَادَ اللَّهِ مِنَ التَّضَرُّعِ أَنْ يَحْفَظَ اللَّهُ بِلَادَنَا وَقِيَادَتَنَا، وَجَيْشَنَا وَأَمْنَنَا.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ الْوَفَاءَ لِلْوَطَنِ لَيْسَ كَلِمَاتٍ تُقَالُ، وَلَا شِعَارَاتٍ تُرْفَعُ، بَلْ وَلَاءٌ وَانْتِمَاءٌ، وَقِيَمٌ وَمَبَادِئُ، يَظْهَرُ فِي إِتْقَانِ الْعَمَلِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَالْمُحَافَظَةِ عَلَى مُقَدَّرَاتِ الْوَطَنِ وَمُكْتَسَبَاتِهِ، وَتَعْزِيزِ الْأُلْفَةِ وَالتَّرَاحُمِ، وَوِحْدَةِ الصَّفِّ، وَجَمْعِ الْكَلِمَةِ، وَنَبْذِ الْغُلُوِّ وَالتَّطَرُّفِ، وَالْحَذَرِ مِنَ الْجَمَاعَاتِ الْمُنْحَرِفَةِ، وَالْأَفْكَارِ الْهَدَّامَةِ، وَمُوَاجَهَةِ الْإِرْجَافِ وَالشَّائِعَاتِ، فَيَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَحْمِيَ أَوْطَانَنَا مِنْ أَسْبَابِ الْفُرْقَةِ فِيمَا بَيْنَنَا؛ لِنَحْفَظَ بِلَادَنَا مِنْ كُلِّ عُدْوَانٍ يَسْتَهْدِفُ أَرْضَهَا وَأَمْنَهَا وَمُقَدَّسَاتِهَا، فَوِحْدَةُ الصَّفِّ حَصَانَةٌ، وَاجْتِمَاعُ الْكَلِمَةِ صِيَانَةٌ، فَعَلَى كُلٍّ مِنَّا أَنْ يَجْتَهِدَ فِي خِدْمَةِ

الْوَطَنِ بِحَسَبِ مَوْقِعِهِ وَقُدْرَتِهِ، لِيُسْهِمَ فِي صِيَانَةِ مُكْتَسَبَاتِهِ، وَمُوَاصَلَةِ مُنْجَزَاتِهِ، وَصِنَاعَةِ مُسْتَقْبَلِهِ.

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ الْفِتَنَ وَالْمِحَنَ وَالْأَزَمَاتِ كَمْ يَظْهَرُ فِيهَا لِلنَّاسِ مِنْ حَقَائِقَ؟ وَكَمْ تَتَكَشَّفُ لَهُمْ مِنْ أُمُورٍ؟ وَكَمْ تَبْرُزُ لَهُمْ مِنْ خَبَايَا؟ وَكَمْ تَظْهَرُ لَهُمْ مِنْ خَفَايَا؟ كَمْ تَسْقُطُ لَهُمْ مِنْ أَقْنِعَةٍ زَائِفَةٍ؟ وَكَمْ تَظْهَرُ مِنْ شِعَارَاتٍ كَاذِبَةٍ؟ وَيَبِينُ لِلنَّاسِ مَا كَانَ خَفِيًّا عَنْهُمْ، وَلَوْلَا هَذِهِ الْأَزَمَاتُ وَالْمِحَنُ لَمَا ظَهَرَتْ هَذِهِ الْحَقَائِقُ لِلنَّاسِ أَبَدًا، فَفِيهَا خَيْرٌ كَثِيرٌ، وَفِي طَيَّاتِهَا مِنَحٌ إِلَهِيَّةٌ، لِمَنْ تَأَمَّلَ وَتَدَبَّرَ وَتَفَكَّرَ فِيهَا. وَكَمَا قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

جَزَى اللهُ الشَّدَائِدَ كُلَّ خَيْرٍ ... وَإِنْ كَانَتْ تُغَصِّصُنِي بِرِيقِي
وَمَا شُكْرِي لَهَا حَمْدًا وَلَكِنْ ... عَرَفْتُ بِهَا عَدُوِّي مِنْ صَدِيقِي

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: انْتَبِهُوا رَحِمَكُمُ اللهُ لِمُخَطَّطَاتِ الْأَعْدَاءِ، وَاحْرِصُوا عَلَى كُلِّ مَا فِيهِ حِفْظٌ لِلْجَمَاعَةِ، وَحِمَايَةٌ لِلْأَمْنِ، وَاحْذَرُوا - عَافَاكُمُ اللهُ - أَنْ تُسَلِّمُوا أَبْنَاءَكُمْ لِغَالٍ مُتَنَطِّعٍ، يُهَدِّدُ الْأَمْنَ، وَيَزْرَعُ الشَّرَّ فِي الْمُجْتَمَعِ، وَيَسْلُكُ مَسْلَكَ الْغُلُوِّ وَالِانْحِرَافِ، وَالْخُرُوجِ عَلَى الْوُلَاةِ.

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ عِبَادَةٌ عَظِيمَةٌ، لَهَا ضَوَابِطُهَا الشَّرْعِيَّةُ، فَلَابُدَّ فِيهِ أَنْ يَكُونَ تَحْتَ وَلِيِّ الْأَمْرِ؛ فَهَذَا هُوَ سَبِيلُ الْمَخْرَجِ مِنَ الْفِتَنِ، أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللهُ بِهَذَا الْخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ»، قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: «قَوْمٌ يَسْتَنُّونَ بِغَيْرِ سُنَّتِي، وَيَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ»، فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ، دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، صِفْهُمْ لَنَا، قَالَ: «نَعَمْ، قَوْمٌ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَمَا تَرَى إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: «تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ»، وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» أَيْضًا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ

النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّمَا الْإِمَامُ جُنَّةٌ، يُقَاتَلُ مِنْ وَرَائِهِ، وَيُتَّقَى بِهِ». فَالَّذِينَ قَاتَلُوا بِدُونِ رَايَةِ إِمَامٍ إِمَّا يُبَادُوا جَمِيعًا، وَإِذَا انْتَصَرُوا تَقَاتَلُوا بَيْنَهُمْ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ «الْفُرُوسِيَّةِ»: وَنَخْتِمُ هَذَا الْكِتَابَ بِآيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ تَعَالَى، جَمَعَ فِيهَا تَدْبِيرَ الْحُرُوفِ بِأَحْسَنِ تَدْبِيرٍ، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾، فَأَمَرَ الْمُجَاهِدِينَ فِيهَا بِخَمْسَةِ أَشْيَاءٍ، مَا اجْتَمَعَتْ فِي فِئَةٍ قَطُّ إِلَّا نُصِرَتْ، وَإِنْ قَلَّتْ وَكَثُرَ عَدُوُّهَا:

أَحَدُهَا: الثَّبَاتُ.

الثَّانِي: كَثْرَةُ ذِكْرِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

الثَّالِثُ: طَاعَتُهُ تَعَالَى، وَطَاعَةُ رَسُولِهِ ﷺ.

الرَّابِعُ: اتِّفَاقُ الْكَلِمَةِ، وَعَدَمُ التَّنَازُعِ الَّذِي يُوجِبُ الْفَشَلَ وَالْوَهَنَ، وَهُوَ جُنْدٌ يُقَوِّي بِهِ الْمُتَنَازِعُونَ عَدُوَّهُمْ عَلَيْهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ فِي اجْتِمَاعِهِمْ كَالْحُزْمَةِ مِنَ السِّهَامِ، لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ كَسْرَهَا، فَإِذَا فَرَّقَهَا وَصَارَ كُلٌّ مِنْهُمْ وَحْدَهُ كَسَرَهَا، فَإِذَا فَرَّقَهَا وَصَارَ كُلٌّ مِنْهُمْ وَحْدَهُ كَسَرَهَا كُلَّهَا.

الْخَامِسُ: مَلَاكُ ذَلِكَ كُلِّهِ وَقِوَامُهُ وَأَسَاسُهُ وَهُوَ الصَّبْرُ.

فَهَذِهِ خَمْسَةُ أَشْيَاءٍ تُبْتَنَى عَلَيْهَا قُبَّةُ النَّصْرِ، وَمَتَى زَالَتْ أَوْ بَعْضُهَا زَالَ مِنَ النَّصْرِ بِحَسَبِ مَا نَقُصَ مِنْهَا، وَإِذَا اجْتَمَعَتْ قَوَّى بَعْضُهَا بَعْضًا، وَصَارَ لَهَا أَثَرٌ عَظِيمٌ فِي النَّصْرِ، وَلَمَّا اجْتَمَعَتْ فِي الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لَمْ تَقُمْ لَهُمْ أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَمِ، وَفَتَحُوا الدُّنْيَا، وَدَانَتْ لَهُمُ الْعِبَادُ وَالْبِلَادُ، وَلَمَّا تَفَرَّقَتْ فِيمَنْ بَعْدَهُمْ وَضَعُفَتْ آلَ الْأَمْرُ إِلَى مَا آلَ. وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ وَعَلَيْهِ التُّكْلَانُ، وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.